دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، صيف ۱۳۹۸، العدد الثانی والأربعون: صص ۹۵- ۱۱۱

دراسة نقدية تلقی الضوء علی شعر الجواهری حول حزب البعث

رحیم انصاری پور*

تاریخ الوصول: ۹۷/۱۲/۱۰
تاریخ القبول: ۹۸/۲/۱۸

الملخص

تناولت هذه الدراسه النقدية لشعر محمد *مهدی الجواهری* حول حزب البعث الكافر الذی عاش فی زمن مخاض الحوادث والتطورات السياسية التی مرت علی العراق بدءً من ثورة العشرين وانتهاءً بحزب البعث. وبحكم العلاقة الوطيدة بين *الجواهری* وقادة البعث فالمدح والتمجيد لهم كانت من مضامين شعره فلا يغيب عن أی قضية تخص البعث دون أن يلتفت إليها أو يشير بها أو يدافع عنها *فالجواهری* وإن كان شيعياً ومن عائلة عريقة فی العلم والأدب والدين لكنه نسی شعبه وهمومهم وظلم هذا الحزب الكافر. فالتمجيد والمدح للبعثيين فی الشعر *الجواهری* يعود إلی الطبيعة المزاجية العنيفة التی تمتاز بها شخصيته. فلذلک لمسنا الحاجة الماسة لتناول شعره ولاسيما إنَّ الدراسات التی تناولت *الجواهری* وشعره تفتقد الموضوعية فكثيراً ما كتب عنه فی العالم العربی والاسلامی يبرز فيه إنحياز وتقليد فالمديح تلی المديح وتمجيد فی غير موضعه، صحيح إنَّ *الجواهری* شاعر كبير ولكن له عثرات لا تغتفر ولو قلنا أكثر قصائده فی تمجيد الملوک والرؤساء ربما كان لكسب الشهرة والتملق والأموال ككثيراً من الشعراء ما ظلمناه.

الكلمات الدليلية: شعر الجواهری، البعث، المدح، العلاقة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الاسلامية فرع إيلام. raheemansaripour@yahoo.com

المقدمة

تطرقت هذه الدراسة لشعر *الجواهری* حول حزب البعث الكافر فی العراق، عاش محمد *مهدی الجواهری* فی زمن مخاض الحوادث والتطورات السياسية فی العهدين الملكی والجمهوری الذی مر علی العراق، بدءً من ثورة العشرين بقيادة علماء الدين وعلی رأسهم المرجع الدينی محمد *تقی الشيرازی* وإنتهاءً بحزب البعث الكافر وصدام *حسين*، وكان *للجواهری* مواقف سلبية تجاه علماء الدين والحركة الاسلامية المعاصرة وفتوی *السيد محسن الحكيم* حول الإنتماء إلی الحزب الشيوعی ومواقف إيجابية، ومدح وتمجيد للملوک والرؤساء والمد الأحمر الشيوعی الذی سيطر علی الشارع العراقی فی عهد *عبدالكريم قاسم*. وكان لابد *للجواهری* إن يكون وطنياً غيوراً مدافعاً عن إستقلال بلده وحريته من سلطة البعث الغاشم لأنه سليل عائلة عراقية عربية وعريقة مناضلة إشتهرت بوطنيتها ومواقفها الكفاحية المعروفة جيداً فی النجف وفی عموم العراق؛ فوالده(رحمه الله) كان من الوطنيين الأحرار الذين قاوموا الإستعمار البريطانی وأخوه جعفر فقد قضی شهيداً وهو فی ريعان الشباب دفاعاً عن الوطن وحريته *فالجواهری* وإن كان شيعياً ومن عائلة عريقه لكنه نسی شعبه وهمومهم وتغاضی عن ظلم الملوک، فالتمجيد والمدح للبعثيين فی شعر *الجواهری* يعود إلی الطبيعة المزاجية التی تمتاز بها شخصية فكثيراً ما كتب عنه فی العالم العربی وإيران يبرز فيه إنحياز وتقليد وتمجيد فی غير موضعه.

صحيح إنَّ *الجواهری* شاعرٌ كبير ولكن له عثرات لا تغتفر ولو قلنا أكثر قصائده فی مدح وتمجيد للملوک والرؤساء ربما كان لكسب الشهرة والتملق والأموال ككثير من الشعراء ما ظلمناه، ولا يخفی إن هناک عوامل لعبت دورها فی التعريف به وإشتهاره علی الملا وإذاعة صيته أهمها دور الحزب الشيوعی العراقی الذی زَمّر له كثيراً ومن ثم البعثيون فی حكمهم الأسود بالإضافة إلی الخلاعة والعری والمسخ السافر فی شعره فهو إباحی عانق النساء وعاقر الخمرة، ولم يقلع عن ذلک عند الكهولة وما تورع عن تناول الخمر حتی سكرات الموت يقول عن نفسه عند إشتراكه فی حفل غنائی أقيم للمغنية المصرية *أم كلثوم* فی العراق: «كنتُ أروم مكانا قصياً إعتزل فيه لأناغی نفسی بما ستشدو به *أم كلثوم* وإن أتناول من دون سائر الأشربة المتناسبة والمنسجمة مع هذا الحفل الفخم العرق العراقی»(الجواهری،۱۹۸۸م، ج ۱: ۴۳۳).

فقصائد *الجواهری* تستبجد *بقاسم* وتحرضه على توقيع أحكام الموت كانت دعوته هذه منسجمة مع مواقف الشيوعيين الذين كانوا ينادون *قاسم* إعدم إعدم جيش وشعب يحميک كما وصف *عبدالكريم قاسم* بأب الأحرار، فأنشد له محاكاة لما تغنت له المغنيات *كمائده نزهت وأحلام وهبی*. إنَّ *الجواهری* لم يواصل دراسته الحوزوية والاكاديمية. كان *للجواهری* علاقات مع بعض قادة البعث المشؤوم أمثال *عبدالله سلوم السامرايی* وزير الإعلام و*شاذل طاقة* وزير خارجية البعث و*صالح مهدی عماش* نائب الرئيس ووزير الداخلية فخصص له البعثيون فی بداية عام ۱۹۶۹ راتباً تقاعدياً وعندما قتل محمد ابن الرئيس *احمد حسن البكر* بحادث اصطدام سيارته نعاه *الجواهری* بقصيدة طويلة مادحاً فيها الرئيس البعثی نشرت جريده الجمهورية البعثية قصيدته على صفحتها الأولی. *الجواهری* الذی شاهد القمع البعثی للشعب العراقی لم يهزه ذالک.

لم تجد *للجواهری* أی بيت شعر ينصر به الحركة الإسلامية ولا سيما فی العراق التی ناهضت البعثين وتعرضت قياداته للقتل والتنكيل والتعذيب والتشريد وعلى رأسهم *الإمام الشهيد محمد باقر الصدر(رض)* بالرغم من أن كثيراً من الشعراء حتی من غير المذهب الشيعی رثاه وبكی عليه، بل لم تجد له أی بيت شعر ينصر فيه الشعب العراقی ضد نظام *صدام* الغاشم صاحب المقابر الجماعية وذابح أطفال العراق بل أباد مدناً منها حلبچة الشهيدة وقصف سكانها بالأسلحة الكيميائية سوی قصيدة رائعة تحت عنوان «آمنت بالحسين(ع)» وأعتقد إنَّ فيها توفيقاً إلهياً مع الالتفات إلى انه قالها منذ شبابة حين كان معمماً فی الحوزة العلمية إنَّ *الجواهری* خيب آمال أبيه وأسرته فابتعد الكثير من آل *الجواهری* عنه وكان يشعرون بالخجل تجاه فأودع العمامة وعاقر الخمرة وغازل النساء فابتعد عن خط آبائه وأجداده.

سابقية البحث

عالج الكتاب والباحثون الكثير من شعر *الجواهری* من زوايا مختلفة وتمت دراسات غير قليلة فی تحليل شعره ألا أنهم لم يتطرقوا حتی الآن إلى دراسة نقدية لشعره حول حزب البعث، ولم تجر دراسة نقدية مستقلة قائمة بذاتها فی هذا المجال، فإننی أری عندما نبحث فی موضوع ما فإنَّ جهودنا بلا شک ستكون تكملة لجهود غيرنا وقد كتب الكثير

من قبلنا ومن بين هذه الدراسات على سبيل المثال: دراسة محمد *إعتمادی* بعنوان «الجواهری حياته، أسلوبه الشعری وخلفيتة الثقافية» وكتاب «محمد مهدی الجواهری دراسات نقدية» للباحث *العلوی* و«فلسطين فی شعر الجواهری» للباحث محمد حور ورغم وجود مثل هذه الدراسات فإنَّ الباحث على حد سعيه فی الوصول إلی الدراسات السابقة لم يجد بحثاً شاملاً حقيقياً لما سوف يتناوله فی هذا البحث.

مولده ونشأته ومدفنه

أبوفرات محمد مهدی بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علی بن الشيخ محمد حسن صاحب «جواهر الكلام»، أشهر مشاهير الشعراء فی العصر الحاضر إنتهت إليه إمارة الشعر بلا منازع.

تختلف الروايات فی التقدير الدقيق لتاريخ ولادة *الجواهری*، ومدار هذا الإختلاف بضع سنين؛ ولد *الجواهری* عام ١٩٠٣م بمدينة النجف الأشرف أو عام ١٩٠١م والأول هو الأصح، ومما قيل أنه ولد عام ١٨٩٩م أو ١٩٠٠م، ويبدو أن منشأ هذه التقديرات يعود إلی عدم تصريح *الجواهری* نفسه بالتاريخ الدقيق لولادته، ولكن *الشيخ جعفر محبوبة* مؤلف كتاب «ماضی النجف وحاضرها» والذی يقول *الجواهری* عنه بأنه «صادق وثقة وكتابه قيم»، يقول أن *الجواهری* ولد ليلة السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٧ق فيجيب *الجواهری* بالإيجاب على أساس أن هذا التاريخ قد يرقی به بعد إلی ما بعد عام ١٩٠٠م ومن الممكن إرجاع سبب الاختلاف إلی عملية تطبيق التاريخ الهجری على الميلادی وقواعد التحويل.

ولما كان *الجواهری* قد أيّد التاريخ الذی أثبته *جعفر محبوبة* أی عام ١٣١٧ هجری قمری فقد قال *الدكتور علی جواد طاهر*: «وكان الذی شجعه على الاستمرار فی التأييد جهلة الفرق بين السنة الميلادية والهجرية، وتصوره أن هذا التاريخ يرقی به إلی ما بعد عام ١٩٠٠م»، ونرجع إلی قواعد تحويل الهجری إلی الميلادی وإلی الجداول العلمية المعترف بها فيظهر أنه ولد يوم الأربعاء السادس والعشرين من تموز ١٨٩٩م، ويبدو أن هذا هو التاريخ الصحيح لما هو معروف من صدق *محبوبة* وتثبته وصلته بآل الجواهر ولصيغة تاريخ الولادة حتی لكأنه استقاها من أوثق المصادر، وكان من دابة أن يحتری

ويرجع إلى الأصول فلم لا يكون قد أخذه عن والد الشاعر نفسه ومهما يكن من تاريخ ولادته فقد ولد بالنجف الأشرف ونشأ ودرس فی الصحن العلوی(الجبوری، ١٩٩٣م: ١٠).

قال *الجواهری*: «ولدت مع مولد هذا القرن المضطرب، كان البيت الذی وُلدتُ فيه ونشأت بقرب الصحن العلوی، ولذلک تفتحت أول ما تفتحت على هذه الفسيفساء الآدمية العجيبة، المتداخلة، المتعارضة، التی يضمها الصحن والحضرة والسور المرمری الذی يحيطها»(الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١: ٣٥).

ولد محمد *مهدی الجواهری* فی السنين الأولى من القرن العشرين من أسرة دينية؛ كان جده الأعلى *الشيخ محمد حسن* مرجع شيعة الإمامية فيعهده وكتابه المشهور «جواهر الكلام» الذی اقتبست الأسرة لقبها منه(العلوی، ١٩٦٩م: ١٩)، طلع *الجواهری* على القرن العشرين من بيت أسواره الدين والمذهب، وأعمدته العلم والثقافة والأدب ومن مدينة بيئتها الدين وظواهرها التحفظ والالتزام ومحيطها بحار من كتب الاستدلال والجدل والفلسفة والأحكام ورجالها علماء، فقهاء، مراجع التقليد، شعراء وأدباء، ومن بلد تتكالب عليه القوى الإستعمارية.

إرتشف محمد مهدی مناهل الأدب و اللغة و الفلسفة، فدرس «الأجرومية» و «قطر الندي» و «ألفية ابن مالک» و «مغنی اللبيب» و «شرح النظام فی الصرف» و «الحاشية للملا عبدالله» و «شروح الشمسية فيالمنطق» و «المطول و المختصر فی البلاغة» و «شرح اللمعة» و «مكاسب الشيخ الأنصاری»(الجبوری، ١٩٩٣م: ١٠).

نشأ *الجواهری* على والده العالم الأديب، قرأ مقدماته الأولية على أخيه *عبد العزيز والشيخ على الشرقی*. الحساب على *السيد أبی القاسم الخوانساری* والبيان والمعانی على *الشيخ مهدی ظالمی والشيخ على ثامر* وحفظ الفقه وأصوله *على سيد موسى الجصانی والسيد حسين الحمامی*(الفتلاوی، ١٩٩٩م: ٦١٣). هذا كله وهو لم يشتد عوده بعد بل لايزال فی الخطوة الأولى لعبور العقد الأول من عمره.

أما طفولة *الجواهری* فله معها شأن، فقد عاش طفولة يلعب فيها دور الكبار صغير فی قالب الكبير، صبی يطلب منه أن يدع الصبابة والطفولة ويعيش عالم الخبراء الكبار، أليس فی الأمر مغامرة حقاً! نشأ فی كنف والده الفقيه والأديب الذی لازم إبنة ملازمة خاصة وعنی به عناية الأب والأستاذ والمرشد، ولن يفارقه حتى وافاه الأجل عام ١٩١٧م.

والظاهر أن الالتزام الغير طبيعی من *الشيخ عبدالحسين* لإبنه *مهدی* أن دلّ علی شیء، فإنما يدل على التشخيص الدقيق لنبوغ *الجواهری* والإهتمام البالغ بمستقبله وهو صبی وحسب. والحق أن الشيخ لم يكن متوهماً أبداً فی هذا وإن كان أمله فی إبنه غير ما آل إليه *محمد مهدی الجواهری*. قال *الجواهری*: «بعد وفاة والدی إنفردت بشخصی وتفردت بشخصيتی، مثلما ينبغی لكل مخلوق قبل ذلک كنت مجرد ظل له ولوصايته المحكمة علیّ»(الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١: ٨٥).

لقد دفع *الجواهری* ثمناً باهضاً لطفولته تلک كما قال: «وقد أتعبتنی السنوات العشر الأولی منها أكثر من العشرات التی تلتها، فإليها تعود العقد، والرواسب، واختلاط الحسنات بالسيئات أختلاطاً يصعب علیّ وأنا صاحبه أن أجد له مبرراً غير أن أعود القهقری إلی هذه المرحلة، التی حكمت كل حياتی التالية وغالباً ما كانت ذكرياتی عن الفترة مديرة وكثيراً ما اختلطت هذه المرارة بالسخرية»(المصدر السابق: ٣٩).

درس *الجواهری* فی المدرسة العلوية فی مسقط رأسه، ثم أخذ علومة فی اللغة والأب عن *محمد علی المظفر* و*علی ثامر* وغيرهم من مشايخ الغری، ونبغ فی الشعر قبل أن يبلغ الحلم(بصری، لا تا: ١٨٠).

الشاب المتمرد

إذا كان *الجواهری* قد خسر طفولته ودفع ثمناً غاليا لمرارة أيام حملته واقعاً خاصاً، كان طبيعياً أن يسود روحه طابعاً متمرداً يجره نحو التطرف بين الحين والآخر، والأمر من ذلک أن هذا الطابع المتمرد قد سكن كيانه ولازمه حتی خارج مراحل شبابه بل فی عمره كله.

وهو القائل: «أننی أعيش مرارة تلک الأيام حتی الآن، وكانت السبب فی كل هفواتی وسقطاتی اللاحقة بدافع طموحات لم أخلق لها»(الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١: ٤٩).

كان والده *الشيخ عبدالحسين الجواهری* حريصاً جداً على متابعة إبنه *مهدی* لدروسه وحضوره معه، وإستصحابه إلى مجالس العلماء الكبار، ليدفعه دفعاً عجولاً نحو عالم الشيوخ وفی هذا المجال يقول *الجواهری*: «كانت سنوات حياتی، خلال ذلک تختصر قسراً إلی شهور، بل أسابيع وقد حملت إلی سنوات حياتی اللاحقة، تبعات كل تلک الفترة التی

سرقت منی، حملتها بكل تناقضاتها ومفارقاتها حيث انعكست علی حياتی وشعری بل وعلی تعاملی مع الناس ومن معی، دائماً كان هذا الطفل الذی انتزعت منه طفولته يخرج من جديد بشكل ما مشاكساً عنيداً غافلاً متغفلاً متناقضاً مبلبلاً، وكان الطفل يفلت حالماً ينتهی من امتحاناته اليومية الرهيبة ليخرج وقد أطلق سراحه الی الزقاق فی وقت متأخر من النهار يكون فيه الأطفال قد شبعوا لعباً وعادوا أو أوشكوا أن يعودوا الی بيوتهم»(الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١: ٥۴).

ويبدو أن هذا الإجحافات أو الخيبة التی كان يراها *الجواهری* فی التعامل القسری، بالنسبة له قد أدت به إلی نمو ورشد نزعة التمرد والتناقض لديه فی سنين شبابه، ومن ثم فی بقية عهود حياته.

فلقد تمرد ابتداءً علی «الملة أم جاسم» فی كتابها، ومن ثم من حلقات دروس جناب عالی، وبعدها المدرسة العلوية والثانوية وكان تمرده الی حد البغض والفرار.

ولم يكن *الجواهری* بالذی يرضی بطفولة كطفولته، ولا بصبوة كصبوبة مما دفعه بالتالی فی عنفوان شبابه النزوع نحو الخلاص من هذه القيود، وهذه الزنزانات التی تهضم حقوقه فی الطفولة والشباب، ليصل إلی عهد يصف فيه نفسه وعمامته التی ألبسوه بها: «حتی لكأننی أصبحت أبن جلا وطلاع الثنايا»، والمقصود "ابن جلا وطلاع الثنايا" *الحجاج بن يوسف الثقفی* والی الكوفة.

لقد رأی *الجواهری* التمرد لنفسه طريقاً وسلوكاً لم يكن بإمكانه الخلاص منه، وان كان يريد ذلک لقد عاش كبيراً وهو صبی، وعاش حياة الصغار وهو شيخ كبير تجاوز الثمانين، وهذه المفارقات وسمات التناقض الذی كان يملأ حياته. وقد قال: «عشت حياة عاصفة، اختلطت فيها عوالم بعوالم، الفقه بالشعر، والشعر بالسياسة، والسياسة بالصحافة والصحافة بالحب والحب بالصداقات والبؤس بالنعيم والتوطن بالترحل والطفولة بالرجولة» (الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١۴).

لقد أريد للرجل أن يجعل فقيهاً نابهاً يعيد المجد الغابر(لصاحب «الجواهر»)، لكنه بمجرد التنفيس، ليعلن التمرد عليی كل الواقع المؤذی لطبعه وكيانه، لذلک لم يحقق أمل والده فی التمرس بالفقاهة وتطرف فی هذا تطرفاً علنياً وثار ثورته الكبری علی التزمت الذی كان يمقته فی محيطه، وأودع العمامة جانباً وخرج أفندياً متطرفاً يحمل

بهجومه ليحتل المواقع واحد بعد الآخر ويمسک بزمام الأوضاع فی محيطه الثوری الجديد، الذی أستطاع أن يخلق لنفسه معتقداً أن أيام القفص الحديدی قد ولّی دون رجعة وعليه بنا قفصاً ذهبيا يفتقد ببابه سجان لا يزهد بمفتاح قفصه وجاءت طلقاته قوية وقاتلة فی قصائد «جربينی» و«الرجعيون» لتجر بعدها طلقات أقوی و أخطر. ولنقرأ له أين أودع العمامة وبهذه السرعة الخاطفة إذ قال فی قصيدة «النزعة»:

قال لی صاحبی الظريف وفی الكفـ		ـفِ ارتعاش وفی اللسان إنحباسه
أيـن غادرت عمةً واحتفاظاً		قلت: إنی طرحتها فی الكناسة
صاحبی لا ترعک خسة دهر		كم نفوس شريفة حساسة

(الجواهری، ١٩٨٦م: ٨١)

وقال فی قصيدة «الرجعيون»:

ستبقی طويلاً هذه الأزمات إذا لم تقصر عمرها الصدمات
سيبقی طويلاً يحمل الشعب مكرهاً مساوی من أبقت الفترات
علی باب شيخ المسلمين تكدست جياع علتهم ذلة وعراة

(الجواهری، ١٩٨٦م: ٨٤)

ويفتح *الجواهری* صفحات التحدی بمسارات عديدة تتراوح بالإفراط والتطرف فی مراحل، وبالرجوع والعودة إلی التراث البيئی مراحل أخری. يبدو أن الجواهری فی عهود تطرفه وإفراطه الساخر بكل شیء. أوضع ما يقال لوصف الحالة هو أنه أدرج ثورته وتمرده علی واقعه بالتحرک من التحفظ إلی التحرر، أو بالأحری التحرک من مسار أقصی اليمين نحو أقصی اليسار.

وفاته ومدفنه

فی يوم الأحد ١٩٩٧/٧/٢٧م رحل محمد *مهدی الجواهری*، الذی وافته المنية عن عمر بلغ ثمانية وتسعين عاماً بدمشق العاصمة السورية بعد عشرين عاماً من الإقامة فيها، وقد شيعت دمشق جثمانه بانطلاق مسيرة ضخمة، تقدمها نائب الرئيس السوری ممثلاً عن الرئيس *حافظ الأسد* ورئيس مجلس الوزراء *عبدالقادر قدورة* وعائلة الفقيد وشخصيات سياسية وثقافية وجمهرة غفيرة من العراقيين المنفيين، وقد إخترقت المسيرة شوارع

دمشق فی طریقها إلی مقبرة الغرباء فی حی *السیدة زینب(ع)* حیث ترقد زوجته أم کفاح (جریدة الاتحاد، ۲۰۰۰م، العدد ۳۹۴).

لقد واکب التناقض حیاة *الجواهری* حتی فی مماته، أ‌لیس من عجب العجاب أن یتولد *الجواهری* فی بیت مجاور لأعظم مقبرة فی الدنیا(وادی السلام) یمر علیها *الجواهری* فی کل فرصة، وحین عشرات ومئات المرات ذاهباً وآیباً آحاداً واجتماعاً لیلاً کان أو نهاراً وأن یدفن فی مماته، بعیداً عن وادی النجف بعیداً عن مقابر آل *الجواهری* وبعیداً عن مقابر الأنبیاء والأولیاء.

الجواهری وحزب البعث

کان *للجواهری* علاقات ودّیّة مع أرکان وقیادات حزب البعث الدکتاتوری والذی جری الویل والثبار للعراق والعراقیین، وقتل خیرة أبناء العراق من العلماء والشخصیات العلمیة، یقول فی *صالح مهدی عماش* القائد البعثی قصیدة یظهر فیها ما یکنّه *لعماش* من تقدیر ومحبة وودّ:

أ «أبَا هُدی» شوقُ یُلجّ ولا ... عجٌ یذکی الشِعافا

شوق المبارح لم یغیـ ... ـره البعادُ، ولا تجافی

یا منتج الدرر الحسانِ معانیاً غراً ظِرافا

یقطرن إبداعا، وایـ ... ـثار، وحباً، وانتصافا

(جلیل عطیه، ۱۹۸۸م: ۱۳۰)

کما أهدی *الجواهری* نسخة من دیوانه «برید الغربة» إلی صدیقه شاذل طاقة وهو شاعر شغل فی السبیعینات(فی ظل حکم البعث الأسود) منصب وزیر الخارجیة وکانت کلمة الأهداء ابیات اخوانیة رقیقة هی:

سلمتَ أبا نوافٍ الشهم إنها ... نهارٌ ولیلٌ یوسعان بنا اکلا

اقول لها مهلاً وأعلم أنها ... إلی طیّة تخشی مغبّتُها عجلی

سنبقی رسوماً بعدها مثلما محت ... سمومُ الریاح الهوج من روضةٍ شکلا

علی أننی مُلفٍ عزاءً بماجدٍ ... کمثلک یضفی الحبّ والنبل والفضلا

(المصدر السابق: ۱۳۰- ۱۳۱)

خصص له النظام البعثی راتباً تقاعدیاً یوازی مرتبات الوزراء، ونصبوه رئیساً لاتحاد الأدباء العراقیین ورأس وفود الإتحاد، فعند عودته فی ظل الحکم البعثی إلی بغداد فی اوائل تشرین الثانی ۱۹۶۸م اعدوا له حفلاً فی مطعم شهریار بمنطقة صدر القناة وألقیت فیه کلمات وقصائد ترحب بعودته إلی الوطن وألقی هو بدوره قصیدته مطلعها:

ارح رکابک من أین ومن عَثِر — کفاک جیلان محمولاً علی خَطرٍ
کفاک موحش درب رحت تقطعه — کأن مغبرة لیل بلا سحر
ویا أخا الطیر فی ورد وفی صدر — فی کل یوم له عش علی شجر

(الجواهری، ۲۰۰۸م، ج۵: ۸۸۸)

الجواهری ینشد *لصدام حسین وأحمد حسن البکر*. یقول:

أبا «هیثم» یا موسع الناس حلمَه — أفاءَ علیهم ظلَّه وتَحدّبا
ویا ابن «الحسین» الفذّ شهماً صَمَیدَعاً — مَهیباً، وثُوباً قبلَ أن یتوثَّبا
ویا ذارة «الصفَّین» قُطراً، وأمةً — یربّونَ من مجدیهما ما تأشَّبا

(الجواهری، ۲۰۰۸م، ج۷: ۱۰۵۸)

حزب البعث وقادته فی قصیدة طویلة للجواهری

مدح *الجواهری* قادة البعث السفاکین بقصیدة طویلة عدد أبیاتها ۸۲ بیتاً یقول فیها:

تَغَن بـ«تموّز» فتموّز ماردٌ — تخطّی عقیمات العصور وأتعَبا
نَعِمتُم صباحاً قادة «البعث» أصیداً — یُسدّدُ خَطوَ الصیدِ منکم وأغلبا

(نفس المصدر: ۱۰۵۶)

لقاء صدام حسین والجواهری

کتب *الدکتور جلیل العطیة* عن هذا اللقاء قائلاً: «حدثنی فرات محمد *مهدی الجواهری* ان *صدام حسین*- وکان یشغل منصب نائب رئیس مجلس قیادة الثورة اتصل بالشاعر فی الیوم الثانی لنشر قصیدته فی رثاء محمد *البکر* وبعد سلام وعتاب الحّ علیه أن یستضیفه، وفی الیوم الثانی أمضی *الجواهری* نهاراً کاملاً فی ضیافته. بعد أن أرسل له سیارة فخمة دون أن یعرف أحد المکان الذی ذهب إلیه الشاعر، تمت الضیافة فی مزرعة الرضوانیة...

فی ذلک اللقاء استدعی *صدام حسین* أمین العاصمة وأهاب به ضرورة الاستعجال باستملاک قطعة الأرض النسی منحتها الحکومة العراقیة للشاعر فی منطقة الصلیخ علی ضفة دجلة ومساحتها ٥٥٠ متراً... وعرض علی الشاعر بناء الدار... لکن *الجواهری* اعتذر وفی الختام ترسل الحکومة شیکاً مفتوحاً لتشیید الدار لم ولن یُستخدم. کان لقاء الرضوانیة هو الأخیر بین *الجواهری* و*صدام حسین*»(جلیل العطیة، ١٩٨٨م: ١٣٧).

وعندما ما اعتنی به *صدام حسین* بعد أن حاول *الجواهری* الاتصال *بصدام* لمرات غادر العراق لیعود إلی منفاه کتب *الدکتور جلیل العطیّة* فی هذا الصدد: «... ویتحامل *الجواهری* ابن الثمانین عاماً لیحاول... اتصل بالأرقام الهاتفیة المباشرة التی سلّمها له السید النائب (*صدام حسین*) ولکنه یجابه برد متجاهل یجعله یغضب، فیحزم حقائبه لیعود إلی المنفی... ویستقر به المقام فی دمشق»(المصدر السابق: ١٣٩).

الجواهری یمجد البعثیین والبعث

فی عام ١٩٧٤م ألقی قصیدته «سلمت ثورة.. وبورک عید.. عید نیسان» فی المهرجان الذی أقامته قیادة حزب البعث المشؤوم بمناسبة ذکری تأسیس حزب البعث منها:

سَلِمت ثورة وبورک عیدُ — وتعالَت جموعکم والحُشود
وزکت ساحة من المجدِ تُعلی — جانبیها معاصم وزُنودُ
أیُّها المبدعون یحیون نیسا — ناً جدیداً تَرِفُّ فیه الورود
یوم «نیسان» أنت للبعث عید — والتفافُ الصفوف حولک عیدُ

(دیوان الجواهری، ٢٠٠٨م، ج٦: ٩٥٠-٩٥٣)

الجواهری واحمد حسن البکر

أنشد *الجواهری* قصیدة من ثمانیة وستین بیتاً نشرتها جریدة الجمهوریة البعثیة فی ١٩٧٨م بعد أن قتل *محمد احمد حسن البکر* و*بنات مولود* فی حادث سیارة، کان العراقیون یتهامسون آنذاک بأن تلک الحادثة مدبرة من قبل *صدام حسین*.

کتب *الدکتور جلیل العطیة* قائلاً: «روی لی *شفیق الکمالی*(احد قیادی حزب البعث) أن *أحمد حسن البکر* اتصل به ذات مرة وأخبره أن *محمداً* - ابنه- معجب جداً *بالجواهری*

ویرید التعرف إلیه شخصیاً وقد فعل ذلک، والتقطت صور بالمناسبة شکلت البوما کاملاً. *سُرّ الجواهری* بزیارة نجل رئیس الدولة، یأتیه حاملاً هدایا ویطلب الیه التوقیع علی دواوینه... تکررت زیارات الشاب بلا مراسیم... وذات یوم ربیعی من ایام ١٩٧٨م تُعلن فجأة وفاة الشاب *محمد احمد حسن البکر* فی حادث سیارة.... هزت وفاة *محمد احمد حسن البکر* وجدان *الجواهری* فنظم قصیدة لامیة تتکون من ثمانیة وستین بیتاً نشرتها جریدة الجمهوریة فی عددها المرقم ١٣٢٣١ الصادر فی ٢٩ آذر ١٩٧٨م»(جلیل عطیة، ١٩٨٨م: ١٣٣-١٣٤).

قصیدة الجواهری فی رثاء *محمد احمد حسن البکر*، منها:

تعجّل بِشَر طلعتک الأفولُ وغال شبابکَ الموعود غُولُ
فلا تبعد «محمدٌ» المزکّی دعاء محاول ما یستحیلُ

(نفس المصدر: ١٣٧ـ١٣٦)

الجواهری والحرکة الاسلامیة المعاصرة

لم تجد *للجواهری* أی بیت شعر ینصر به الحرکة الاسلامیة ولاسیما فی العراق التی ناهضت البعثیین وتعرضت قیاداته للقتل والتنکیل والتعذیب والتشرید، وعلی رأسهم *الامام الشهید محمد باقر الصدر(رض)* بالرغم من أن کثیراً من الشعراء حتی من غیر المذهب الشیعی رثاه وبکی علیه، بل لم تجد له أی بیت ینصر فیه الشعب العراقی ضد نظام *صدام* الغاشم صاحب المقابر الجماعیة وذابح اطفال العراق بل أباد مدناً منها حلبچة الشهیدة وقصف سکانها بالأسلحة الکیمیائیة.

نستطیع أن نقول بصراحه انک لم تجد له بیت ینصر به الدین او المذهب، بل لم تجد له موقفاً مشرفاً تجاه آل البیت(ع) بالرغم من بلوغ قصائده إلی المئات مادحاً الطغاة والملوک ومتغزلاً بالغانیات والعاهرات. وإذا استثنینا موقفین لم تجد له موقفاً مشرفاً، والموقفان هما القصیدة الرائعة تحت عنوان «آمنت بالحسین(ع)» الذی کتب منها خمسة عشر بیتاً بماء الذهب علی الباب الرئیسی لمرقد سید الشهداء(ع) الذی یقول فیها:

شممتُ ثراک فهب النسیم نسیم الکرامة من بلقع

(الجواهری، ٢٠٠٨م، ج ٣: ٤٩١)

يقول *الشهيد محمد صادق الصدر* عن *الجواهری* فی كتابه «اضواء على ثورة الامام الحسين(ع)»: «بالرغم من أن *محمد مهدی الجواهری* دنيوی أيضاً وفاسد فی عقيدته وسلوكه، ومناصر للملحدين فی شعره، وكذلك فإن ديوانه يحتوی على كثير من الغزل لمعشوقات أوروبيات أحبهن ونظم فيهن، كما أن فيه قصيدة صغيرة فی ذم الحوزة العلمية، وينسب إليها الكبائر والفضائح. وبالرغم من كلّ ذلك فإن قصيدته فی *الحسين(ع)* وخاصة المقطع الأول منها، هی خير شعره، كما أنها خير ما قيل فی *الحسين(ع)* على الطريقة الفكرية الحديثة. وأعتقد أن فيها توفيقاً إلهياً مع الإلتفات إلى أنه قالها: منذ شبابه حين كان معمماً فی الحوزة ولم يكن متدنساً بالآثام التی طرأت عليه بعد ذلک؛ ولعل خير ما فيها قوله:

كأن يدأ من وراء الضريح — حمراء مبتورة الإصبع
تمد إلى عالم بالخنوع — والذل فی شرف متزع
لتبدل منه جذب الضمير — بآخر معشوشب ممرع

(ديوان الجواهری، ۲۰۰۸م، ج۳: ۴۹۱)

والبيت الأول منها يعطی صورة خيالية جبارة ليد *الحسين(ع)* اليمنی المبتورة الإصبع والمخضبة بالدماء.

وواضح أيضاً من الأبيات أنه يمجد *الحسين(ع)* باتجاه دنيوی لإصلاح وإحياء الضمائر الميتة، ورفع المظالم من المجتمع. ليس فيه شمة إلهية أو أخروية، كما أنه ليس فيه اتجاه الى البكاء والتفجع، إلا ما يأتی عرضاً ولكن جانب الإخلاص والعاطفة فيه موجودة أكيداً، فی مثل قوله:

وماذا أعظم من أن يكون — لحمک وقفاً على المبضع
وتطعم للموت خير البنين — من الأكهلين إلى الرّضع

(المصدر السابق: ۴۹۱)

وعلى أی حال فمن الواضح أن *الحسين(ع)* يفهمه كل شخص بمقدار مستواه وثقافته وقناعته، وأی من ذلک حصل كان خيراً ونعمة. وكان مؤثراً فی ايجاد الهمة نحو التمرد على الظلم والتضحية بالنفس والنفيس، فی سبيل إيجاد العدل حسب اختلاف مستويات إدراک هذا العدل»(الصدر، ۱۴۲۷ق، ج۶: ۱۱۹-۱۱۸).

نتيجة البحث

بعد هذا الاستعراض لجوانب الموضوع يمكننا أن تشير إلى بيان أهم النتائج المستخلصه من هذه الدراسة وهی كالآتی.

كان *للجواهری* صلة وثيقة بقيادات حرب البعث ومدح *احمد حسن البكر* و*صدام حسين* بأكثر من قصيدة.

كان *الجواهری* مخالفاً للتيار الإسلامی فی توجهاته.

سقط *الجواهری* فی مستنقع الجنس وهاجم العلماء والحوزة العلمية ظلماً.

لم يكن *الجواهری* ملتزماً يدافع عن الشعب العراقی ضد البعثين الكفرة.

كان *الجواهری* يدافع ويزمر للشيوعيين والبعثيين و*عبدالكريم قاسم*.

لم يكن *الجواهری* قريباً من الحركه الاسلامية المعاصرة وقياداتها ولاسيما *الشهيد محمد باقر الصدر(قدس سره)*.

أنشد *الجواهری* قصائد عديدة للملوک والرؤساء.

المدح والتمجيد فی شعر *الجواهری* يعود إلى طبيعته المزاجية التی تمتاز بها شخصيه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

الجبوری، عبدالله. لا تا، **الجواهری نظرات فی شعره وحیاته**، لا مک: لا نا.

الجواهری، محمد مهدی. ۱۹۸۸م، **ذکریاتی**، الطبعة الأولی، دمشق: دار الرافدین.

الجواهری، محمد مهدی. ۲۰۰۸م، **دیوان الجواهری**، بغداد: دار الحریة للطباعة والنشر.

الخطیب، ابن النجف. لا تا، **تاریخ الحرکة الاسلامیة المعاصرة فی العراق**، بیروت: دار المقدسی.

العطیة، جلیل. ۱۹۹۸م، **الجواهری شاعر فی القرن العشرین**، لا مک: منشورات الجمل.

العلوی، حسن. ۱۹۸۳م، **عبدالکریم قاسم، رؤیة بعد العشرین**، لندن: منشورات دار الزوراء.

العلوی، حسن. لا تا، **الشیعة والدولة القومیة فی العراق**، لا مک: دار الثقافة للطباعة والنشر.

Bibliography

algaburi . abdollah. Algavaheri nazarat fe sheereh wa hayatehi

algavaheri mohamad mehdi . zekreyati . demashgh . dar alrafedain . altabat alola. 1988

alatiah . jalil . allgavaheri . shaer fe algharn aleshrin . manshorat aljamal.1998

alkhatib . ebn alnajaf . tarikh alharakat aleslameyeh almaasereh fe aleraq. Bairot . daralmaghdesi

diwan aljavaheri . bagdad . dar alhoriiah leltebaat va alnashr 2008

alalavi . hasan . abdalkarim ghasem roya bad aleshrin . manshorat daralzawra. Landan 1983

alalavi . hasan . alshia va aldowlah alghomayah fe aleraq . dar alseghafa leltebaat va alnashr

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی